بسم الله الرحمن الرحيم

هذا الكتاب

- هل ترغب في تحقيق الأمن النفسي في حياتك وأسرتك؟
- هل ترغب في تحقيق الاستقرار والتوازن بين مطالبك المادية والمعنوية؟
- هل ترغب في الحصول على السلام الداخلي في حياتك؟
- هل ترغب في التصرف بحكمة وصبر إزاء ما يحدث لك في حياتك وما يعرض لك؟
- إذا كنت ترغب في كل هذا أو بعضه فإليك الصفحات التالية؛ تدبر في كلماتها وتوقف عند معانيها وتعرف على حياتك وذاتك من خلال سطورها.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا (١) قَيِّمًا لِيُنْذِرَ
بَأْسًا شَدِيدًا مِنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا
حَسَنًا (٢) مَاكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا (٣) وَيُنْذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا (٤) مَا
لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا
(٥) فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا (٦) إِنَّا
جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا (٧) وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ
مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا (٨) أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ
آيَاتِنَا عَجَبًا (٩) إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً
وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا (١٠) فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا
(١١) ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا (١٢) نَحْنُ نَقُصُّ

عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى (١٣) وَرَبَطْنَا عَلَى
قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ
قُلْنَا إِذًا شَطَطًا (١٤) هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ
بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا (١٥) وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا
يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ
أَمْرِكُمْ مِرفَقًا (١٦) وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ
وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ مَنْ
يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا (١٧) وَتَحْسَبُهُمْ
أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ
بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا (١٨) وَكَذَلِكَ
بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ
يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ

أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا (١٩) إِنَّهُمْ
إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا (٢٠)
وَكَذَلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ
يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِمْ بُنْيَانًا رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ
غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا (٢١) سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ
وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ
قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا وَلَا
تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا (٢٢) وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا (٢٣) إِلَّا
أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَاذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا
رَشَدًا (٢٤) وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِئَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا (٢٥) قُلِ اللَّهُ
أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ
وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا (٢٦) وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا

مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا (٢٧) وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ
رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ
الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا (٢٨)
وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا
أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ
الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا (٢٩) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ
أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا (٣٠) أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ
يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ
مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا (٣١) وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا
رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا
(٣٢) كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهَرًا (٣٣)
وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا (٣٤)

وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا (٣٥) وَمَا أَظُنُّ
السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا (٣٦) قَالَ لَهُ
صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ
رَجُلًا (٣٧) لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا (٣٨) وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ
جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِنْ تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا (٣٩)
فَعَسَى رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحَ
صَعِيدًا زَلَقًا (٤٠) أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْرًا فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا (٤١) وَأُحِيطَ
بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا
لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا (٤٢) وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِئَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا
كَانَ مُنْتَصِرًا (٤٣) هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا (٤٤)
وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ
الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا (٤٥)

الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا
وَخَيْرٌ أَمَلًا (٤٦) وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ
مِنْهُمْ أَحَدًا (٤٧) وَعُرِضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًّا لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ
بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا (٤٨) وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ
مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا
أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا (٤٩) وَإِذْ قُلْنَا
لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ
أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا (٥٠) مَا
أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ
عَضُدًا (٥١) وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَائِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا
لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ مَوْبِقًا (٥٢) وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا وَلَمْ
يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا (٥٣) وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ

وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا (٥٤) وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ
الْهُدَى وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا (٥٥)
وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ
لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُنْذِرُوا هُزُوًا (٥٦) وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ
بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ
يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا (٥٧)
وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُمْ بِمَا كَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذَابَ بَلْ لَهُمْ
مَوْعِدٌ لَنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْئِلًا (٥٨) وَتِلْكَ الْقُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا
لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا (٥٩) وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ
أَمْضِيَ حُقُبًا (٦٠) فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ
سَرَبًا (٦١) فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا
(٦٢) قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنْسَانِيهُ إِلَّا

الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا (٦٣) قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ
فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا (٦٤) فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ
عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا (٦٥) قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ
مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا (٦٦) قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا (٦٧) وَكَيْفَ تَصْبِرُ
عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا (٦٨) قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي
لَكَ أَمْرًا (٦٩) قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ
ذِكْرًا (٧٠) فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ
أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا (٧١) قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا
(٧٢) قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا (٧٣) فَانْطَلَقَا
حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا
(٧٤) قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا (٧٥) قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ
شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا (٧٦) فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا
أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ

يَنْقَضَّ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا (٧٧) قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي
وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا (٧٨) أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ
لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ
غَصْبًا (٧٩) وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا
وَكُفْرًا (٨٠) فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا (٨١) وَأَمَّا
الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا
صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا
فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا (٨٢) وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي
الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا (٨٣) إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ
شَيْءٍ سَبَبًا (٨٤) فَأَتْبَعَ سَبَبًا (٨٥) حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ
فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ
فِيهِمْ حُسْنًا (٨٦) قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَى رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ

عَذَابًا نُكْرًا (٨٧) وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَى وَسَنَقُولُ لَهُ
مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا (٨٨) ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا (٨٩) حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا
تَطْلُعُ عَلَى قَوْمٍ لَمْ نَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا سِتْرًا (٩٠) كَذَلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ
خُبْرًا (٩١) ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا (٩٢) حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا
قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا (٩٣) قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ
مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا
(٩٤) قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا
(٩٥) آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا حَتَّى إِذَا
جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا (٩٦) فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا
اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا (٩٧) قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ
وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا (٩٨) وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ
فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا (٩٩) وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرْضًا (١٠٠) الَّذِينَ

كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا (١٠١) أَفَحَسِبَ
الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِنْ دُونِي أَوْلِيَاءَ إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا
(١٠٢) قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا (١٠٣) الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ
الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا (١٠٤) أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ
رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا (١٠٥) ذَلِكَ
جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا (١٠٦) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا
وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا (١٠٧) خَالِدِينَ فِيهَا لَا
يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا (١٠٨) قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ
أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا (١٠٩) قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى
إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا
يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا (١١٠).

مقدمة

في عصور الفتن والمحن، حيث يزداد الظلام كثافة، وتتلبد سماء الواقع بغيوم الشُبُهات والشهوات وسُحب الامتحانات التي يتعرض إليها الإنسان فرداً كان أو في مجتمع، تزداد حاجته إلى كهفٍ يؤويه ويحميه، نورٍ يضيء له طريق الحياة وسط تلك الفتن، خارطة طريق توضح له المسار الذي يأخذ بيده إلى الرشد والصلاح.

وسورة الكهف تلبي هذه المقاصد لمن يتدبر في معانيها العظيمة ويقف عند آياتها ودروسها بقلب صادق ونفس متضرعة تتوجه إلى خالقها بالتوحيد والتعظيم، شعارها؛ رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا.

وجاءت الأحاديث الصحيحة مؤكدة فضلها في ذلك، منها ما جاء عن أبي الدَّرْدَاءِ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: (مَنْ حَفِظَ عَشْرَ آيَاتٍ مِنْ أَوَّلِ سُورَةِ الْكَهْفِ عُصِمَ مِنْ الدَّجَّالِ). صحيح مسلم. كِتَاب صَلَاةِ الْمُسَافِرِينَ وَقَصْرِهَا - باب فَضْلِ سُورَةِ الْكَهْفِ وَآيَةِ الْكُرْسِيِّ.

وَفِي رِوَايَةٍ : (مِنْ آخِرِ الْكَهْفِ) . قيل: سَبَبُ ذَلِكَ مَا فِي أَوَّلِهَا مِنَ الْعَجَائِب وَالْآيَاتِ ، فَمَنْ تَدَبَّرَهَا لَمْ يُفْتَتَنْ بِالدَّجَّالِ. صحيح مسلم بشرح النووي.

توجه بصدق لله وقل:

(رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا) .

نزول السورة

نزلت سورة الكهف على النبي صلى الله عليه وسلم وهو يعيش مع أصحابه حالة من المعاناة الشديدة مع قومه. إذ تفنن المشركون في صبِّ أشكال التعذيب على أتباع الدين الجديد، في محاولة يائسة بائسة منهم للحيلولة دون استمرار النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه في نشر الرسالة.

فنزلت هذه السورة لتعالج أعظم فتنة يمكن أن يتعرض إليها الإنسان في حياته؛ الفتنة في الدين. وأوضحت السورة أسباب الفتن ومنها تلك الفتنة في الدين ووسائل التصدي لها وتجاوزها في كل زمن وجيل، موضحة حقيقة زوال الفتن والامتحانات مهما طالت واشتدت محنتها.

ولم تزل السورة منذ بداياتها حتى آخرها تؤكد فاعلية التوحيد ودوره في الخلاص والنجاة من كل الفتن، فكلما قوي التوحيد في قلب صاحبه، ضعف عود الفتن ويبس وأمن الإنسان على دينه ونفسه وماله. وكلما سطع نور التوحيد في القلب، كلما انقشعت ظلمات الفتن والمحن.

جدد توحيدك ومارسه في حياتك فالتوحيد سبيل النجاة

مقاصد السورة

سورة الكهف نزلت لتبني في النفوس أعظم مقاصد القرآن الكريم؛ التمسك بكتاب الله وتفعيل التوحيد وتنفيذه في واقع الحياة الإنسانية. وسورة الكهف واحدة من خمس سور في القرآن افتتحها الله عز وجل بالحمد: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجَا﴾.

وجاء الحمد فيها على نعمة نزول القرآن العظيم التي هي أعظم نعمة امتن بها الله على خلقه. جاء في سنن الدارمي عَنْ عَلِيٍّ رَضي اللَّهُ عنه قَالَ قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ: (إِنَّ أُمَّتَكَ سَتُفْتَتَنُ مِنْ بَعْدِكَ قَالَ فَسَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوْ سُئِلَ مَا الْمَخْرَجُ مِنْهَا قَالَ: الْكِتَابُ الْعَزِيزُ الَّذِي لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ مَنْ ابْتَغَى الْهُدَى فِي غَيْرِهِ أَضَلَّهُ اللَّهُ وَمَنْ وَلِيَ هَذَا الْأَمْرَ مِنْ جَبَّارٍ فَحَكَمَ بِغَيْرِهِ قَصَمَهُ اللَّهُ هُوَ الذِّكْرُ الْحَكِيمُ وَالنُّورُ الْمُبِينُ وَالصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ فِيهِ خَبَرُ مَنْ قَبْلَكُمْ وَنَبَأُ مَا بَعْدَكُمْ وَحُكْمُ مَا بَيْنَكُمْ وَهُوَ الْفَصْلُ لَيْسَ بِالْهَزْلِ ..). سنن الدارمي/ كتاب فضائل القرآن.

فما من فتنة في الدين أو في الرزق أو في الولد أو في الجاه أو في القوة (قديماً وحديثاً) إلا والقرآن مفتاح النجاة منها، فلا عصمة إلا في اللجوء إليه والتمسك بأوامره وتجنب نواهيه.

ثم جاء بوصف هذا القرآن العظيم بقوله: ﴿وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجَا﴾ فالقرآن بطبيعته يقوّم حين تنحرف الأهواء والفتن بالإنسان عن المسار الصحيح لتعود به إلى الصراط المستقيم.

وهنا يتضح معنى التمسك بالقرآن الكريم من خلال ربط الإنسان بين ما يقرأ فيه من آيات وبين ما يمرّ به في حياته وواقعه من مواقف. فالنبي الكريم صلى الله عليه وسلم كان يعيش وأصحابه محنة عظيمة مع قريش التي أرادت أن تفتنه وأصحابه في دينهم وتحول دونه ودون نشر رسالة التوحيد؛ ﴿وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا (٤) مَّا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا (٥) فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا (٦)﴾.

فالشرك بأشكاله أعظم جريمة يرتكبها الإنسان في حق نفسه وفي حق المجتمع

الذي يعيش فيه. تلك الجريمة التي تنبثق عنها مختلف الجرائم الفردية والجماعية.

وهنا تبدأ السورة العظيمة بالوقوف عند مواطن العلاج والشفاء من المحن والفتن؛ التمسك بالقرآن العظيم، وإعلاء شعار التوحيد وإدراك حقيقة الدنيا وقيمتها، ووضعها ضمن إطارها الحقيقي: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلا. وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا﴾.

كما تعزز السورة الحقيقة التي لا ينبغي لها أن تغيب عن الإنسان في - خضم مشاغله وما يتعرض له- أن الدنيا دار عمل، وأن كل ما فيها وما عليها مصيره إلى الزوال. وأن الغاية التي خلق الله لأجلها البشر؛ تقديم أحسن العمل: ﴿لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾، أي أخلص العمل وأصوبه.

فالإخلاص صنوان التوحيد بالله وثمرة التمسك بالقرآن العظيم ومصداقية إدراك حقيقة الدنيا ومآلها.

وتقف السورة عند أعظم محنة يمكن أن يتعرض لها الإنسان في حياته من خلال

عرض قصة فتية اتخذوا قرار التوحيد في حياتهم وواقعهم: ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا﴾. ولم تقف الآيات عند تفاصيل القصة؛ من هم الفتية؟ كيف خرجوا؟ في أي زمان؟ كم كان عددهم؟. إذ أن الغرض منها الوقوف على مقاصد السورة والعبور منها إلى الواقع ليقرأ واقعه من خلال هذه الآيات، ويقرأ الآيات من خلال ما يشهده في الواقع، فيتحقق المقصود بالتمسك بالكتاب العظيم.

وأهل الكهف فتية عاشوا في مجتمعٍ منغمسٍ في الشرك والضلال، أبعد ما يكون عن التوحيد، يشابه المجتمع المكيَّ إبانَ البعثة. والمعركة واحدة عبر الزمان والتاريخ، معركة الحق والباطل، معركة التوحيد والشرك.

من هنا كانت الخطوة الأولى في مواجهة هذه المحنة تتمثل في التوجه بصدق إلى الله بالدعاء: ﴿رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾.

فاللجوء إلى الله والاعتصام بحماه وسيلة كل مؤمن يؤمن بالحق ويدافع عنه، ويتخذ قراراً شجاعاً بتغيير مسار حياته، ولكن تواجهه ضغوط الأسرة أو المجتمع

من حوله. الدعاء المتواصل لله سبحانه وتعالى، بطلب المعونة والهداية التي هي أعظم نعمة يمنحها الله سبحانه لعباده.

وهكذا كان موقف الفتية الذين اتخذوا قرار الإيمان والتوحيد، وتوجهوا بصدق لخالقهم طلبا للهداية، فكانت النتيجة أن زادهم الله هدى. فمن طلب الهداية من الله هداه، ومن آوى إلى الله آواه ومن اعتصم به عصمه ووقاه، ومن توكّل عليه كفاه، ومن أراد العزة والهداية في غير طريق الله، أضلّه وأعماه.

لم تكن تلك الهداية الربانية الخاصة المنحة الوحيدة التي أغدقها الله سبحانه على هؤلاء الفتية، بل زادهم نعمة أخرى: ﴿وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ فالربط على القلب لا يأتي إلا من عند الله عز وجل.

التثبيت الذي يمسك بالقلب فيربطه على الحق وعلى الصواب فلا يطير خوفا أو حزنا أو انحرافا مع الفتن. فكان الجزاء من جنس العمل، القلب الذي ارتبط بالإيمان بربه بصدق وإخلاص، ربط الله سبحانه عليه بالثبات والاستقامة والهداية.

خرج الفتية من مساكنهم المريحة لله وحده، إلى كهف ..حفرة طبيعية في جبل!. تركوا كل شيء وراء ظهورهم.. القصور، المال، المكانة الاجتماعية..وتوجهوا للذي خلقهم وفطر السماوات والأرض بالحق، ليجدوا كل شيء عنده.

يحتاج الإنسان إلى استحضار هذه الحقيقة فمن أدار ظهره لكل شيء وتوجه لخالقه دون سواه، أعطاه الله الدنيا والآخرة، ولكن حين يدير ظهره لربه سبحانه وتعالى ويتوجه بقلبه وقالبه للدنيا ،فسيُحرم خير الآخرة، ولن يأتيه من الدنيا إلا ما قسمه الله له؛ مع همّ لازم وغمّ دائم لا تعالجه الأموال ولا تخفف مُعانته الأسفار.

وقد خرج النبي صلى الله عليه وسلم من مكة وفرّ بدينه وأدار ظهره للدنيا وما فيها، وكانت قولته المشهورة لعمّه أبي طالب: والله يا عمّ لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر ما تركته أو أهلك دونه؛ ولكن ربه سبحانه أعطاه خيري الدنيا والآخرة.

لقد نجح الفتية والنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه في الابتلاء وتجاوز هذه الفتنة، في حين أن قومهم باؤوا بالخسران المبين. المجتمع من حول الفتية وقع في

ظلمات الفتنة وشباكها لأنه سار على غير هدى ولا دليل ولا سلطان مبين. ﴿ لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴾.

وتتوالى الدروس في هذه القصة لتزود المؤمن بوسيلة فاعلة في مواجهة فتنة الدين ومحن الحياة؛ اليقين وحسن الظن بالله: ﴿ وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّه فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحمته ﴾.

وهذه وقفة عظيمة لكل مؤمن تمر عليه بعض الفتن أو المحن؛ إحسان الظن بالله عز وجل: ﴿ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحمته ويُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا ﴾. فلم يقل أحد الفتية كلمة توحي بسوء الظن بالله، أو توقع حدوث مكروه أو حصوله رغم شدة الموقف وصعوبة البلاء!. وهذا ما يحتاج إليه الإنسان اليوم، الثقة بالله وحسن الظن به، والله عند ظن عبده به.

من هنا جاءت الآية: ﴿ وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَاوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ ﴾ سخر لهم الأسباب، وأحدث لهم معجزة وخارقة كونية، وحماهم من كل سوء لأنهم آمنوا وأحسنوا الظن به سبحانه.

ولقد أدركت السيدة خديجة رضي الله عنها ذلك بفطرتها،حين جاءها النبي صلى الله عليه وسلم مضطرباً خائفاً من غار حراء، فقالت وكلها ثقة بالله: والله لا يخزيك الله أبدا إنك لتصل الرحم، وتصدق الحديث، وتحمل الكل، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق.

وتتوالى الآيات بعد ذلك في قصة أصحاب الكهف، لتوضح كيف تكون النتيجة بعد طول المصابرة على الحق والثبات عليه. وتلوح بشائر النصر لكل المصابرين على الحق المدافعين عنه وهم يتلون آيات السورة: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِم بُنْيَانًا رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا﴾. فبعد سنوات طويلة، أدرك الناس منزلة الفتية ومكانتهم إلى الحد الذي وصل بهم إلى التمجيد والإجلال ليقيموا عليهم ضريحاً ومسجداً يتعبدون فيه، ولبئس ما أرادوا!.

ثم تأتي الآيات بعد نهاية القصة في السورة على أول ما بدأت به في بيان واضح أن أعظم وسيلة للوقاية من كل الفتن هو القرآن العظيم: ﴿وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَدًا﴾.

ومن وسائل مواجهة الفتن، الرفقة الصالحة ومداومة ذكر اللّٰه سبحانه: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾. إذ إن من أعظم أسباب الوقوع في الفتن، الغفلة عن ذكر اللّٰه عز وجل ومجالسة الغافلين الذين يحولون دون التوصل إلى القرار السليم.

فالحق واضح والقرار بيد الإنسان الذي أعطي حرية الاختيار والتمييز بين الصواب والخطأ وبين الضلال والرُشد: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاء فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاء فَلْيَكْفُرْ﴾. وعلى أساس الاختيار، يتحدد الجزاء.

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا. أُوْلَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ﴾.

من طلب الهداية من الله هداه، ومن آوى إلى الله آواه ومن اعتصم به وقاه، ومن توكّل عليه كفاه

وتنقل الآيات الكريمة تاليها إلى فتنة أخرى يعاني منها كثير من الناس؛ فتنة الرزق منعاً أو عطاءاً، فتنة متجددة في كل وقت. تقدمها الآيات في سياق قصة صاحب الجنتين: ﴿وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا (٣٢) كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهَرًا (٣٣) وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا (٣٤) وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا (٣٥) وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا (٣٦)﴾.

رجلٌ فتح اللّه سبحانه وتعالى عليه من رزقه وأعطاه مالاً واسعاً فكان العطاء محنة وفتنة، لم ينجح فيها. وقد أوردت الآيات أهم أسباب الفشل في تلك المحنة؛ أن ينسب الإنسان النعمة إلى نفسه وقدراته ومهاراته الكسبية لا إلى خالقه سبحانه: ﴿أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾.

فقد يغفل الإنسان الغني وهو في قمة جاهه وقوته أنه خرج للدنيا لا يمتلك شيئا،

فيصاب بالغرور والشعور بالاستغناء عن خالقه والوقوع في فخّ الظلم والشرك. وصاحب الجنتين وقع في ذلك كله فقد صرف نفسه عن خالقها بالشرك والإعراض عن الله سبحانه وتعالى والاستعلاء بما آتاه الله من مال وقوة على الآخرين: ﴿قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا﴾. فعاش في وهمٌ كاذب، وغرور زائف، منعه من إدراك حقيقة الدنيا، فظن أن عطاء الجنتين أعظم من عطاء الإيمان، ونسي أن أعظم رزق يمنحه الله سبحانه لأحد من خلقه، الإيمان به وتوحيده: ﴿وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا (٣٦)﴾.

أما الوجه الآخر من القصة فكان امتحان المنع في حق الرجل الفقير، الذي ابتلي بقلة الرزق والمال: ﴿قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا (٣٧)﴾. وهي محنة صعبة قد لا ينجح المرء فيها إذا لم يستحضر حقيقة الدنيا ومتاعها الزائف ويستمسك بالتوحيد منهجا في حياته: ﴿لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا (٣٨)﴾

فالرجل الفقير نجح في الامتحان بسبب التوحيد الذي أنار له الدرب فرأى الأمور على حقيقتها وأدرك أن الغنى الحقيقي ليس في كثرة مال أو ولد بل بالإيمان بالله

وتوحيده الذي يغنيه عن كل أحد. وثبت على حسن ظنه بالله رغم كل ما رآه من تعالٍ وغطرسة وتكبر من قِبل صاحب الجنتين.

فالمؤمن لا يسيء الظن بخالقه مهما قلّ رزقه أو ضعفت قوته؛ لا يسخط ولا يتذمر ولا يقارن حاله بحال غيره ممن أعطاهم الله شيئا من متاع الدنيا الزائل، يعيش راضياً قانعاً مكافحاً صابراً محتسباً.

﴿ لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي ﴾ كلمة التوحيد الحق لا تتغير في قلب المؤمن مهما تغير واقعه، بتغير العطاء والمنع. ﴿ لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي ﴾ في المرض كما في الصحة، في الفقر كما في الغنى، في الشدة كما في الرخاء. فالتوحيد قضية محسومة غير خاضعة إلى معادلات العطاء والمنع المتقلبة.

هذا النوع من الإيمان الراسخ هو الذي يقي صاحبه من الوقوع في الحسد والنظر إلى ما في أيدي الناس، فالحسد يتضمن الاعتراض على حكم الله وحكمته سبحانه وتعالى، ومحاولة التدخل وإساءة الأدب مع الله عز وجل في الفصل بين عباده وقسمة الأرزاق بينهم.

ولا يتوقف توحيد الرجل الفقير عند هذا بل يمتد ليشمل محاولة إصلاح صاحب الجنتين مذكرا له بقدرة اللّٰه عليه وأن الأسباب بيده وحده سبحانه: ﴿ وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قلت مَا شَاء اللّٰهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللّٰهِ ﴾.

وثمة ربط واضح بين بدايات السورة حين علّم اللّٰه سبحانه نبيه بقوله: ﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا (٢٣) إِلَّا أَن يَشَاء اللّٰهُ﴾ كل شيء بمشيئة اللّٰه عز وجل، كل شيء بأمره، لتصبح تلك الكلمات (إن شاء اللّٰه، ما شاء اللّٰه) حقائق إيمانية، لا تصح الغفلة عنها. أما: (لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللّٰهِ)؛فهي كنز من كنوز الجنة.

يتبرأ بقولها الإنسان من كل قوة له أو حول إلى خالقه سبحانه، فلا المال ولا الجاه ولا الحاشية ولا الجيوش ولا القصور ولا حسابات البنوك ولا أي شيء في الدنيا، يمكن أن يحميه من اللّٰه: (لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللّٰهِ). فمن استقوى باللّٰه أعانه وقوّاه، ومن استقوى بماله وجاهه واستغنى بهما عن اللّٰه، وكله إليهما وأرداه.

صاحب الجنتين فشل في الامتحان رغم كل عناصر القوة المادية التي كان يمتلكها، والرجل الفقير نجح رغم ضآلة قوته المادية.

وتأتي الآيات بالنهاية المحتومة لكل مغرور مهما طالت سلامته: ﴿ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ على مَا أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا﴾.

اكتشف صاحب الجنتين بعد فوات الأوان أن أعظم جريمة ارتكبها في حق نفسه؛ الشرك بالله.

وفي ذلك الموضع تأتي الآية لتوضح أن كثرة الرزق في الأموال والأولاد .. وفتح أبواب الدنيا لا تدل على رضى الله عز وجل، كما أن قلة الرزق أو ضيق ذات اليد لسبب أو لآخر لا تدل على عدم محبة الله، فالقصد في كل الأحوال، الابتلاء والامتحان: ﴿ واضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَاكَمَاء أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاء فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا﴾. فالسعيد الحقيقي هو الذي يأخذ الدنيا على أنها فرصة وغنيمة للتزود بالعمل الصالح،لا على أنها ميدان سباق لجمع الأموال والزيادة من متاعها. ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾.

ثم يأتي الانتقال السريع إلى مشاهد الآخرة: ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ ليشحن القلب شحنة إيمانية تستحضر مشاهد القيامة في الدنيا، فتقف منها على حذر وتأهب واستعداد يقتضي الانتباه لا الغفلة وطول الأمل.

﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ﴾ كل شيء في كتاب، شهادة مكتوبة موثّقة لا تغادر حتى الابتسامة، فالسر عنده سبحانه علانية. وتتواصل الآيات الكريمة لتقدم مشاهد يوم القيامة حاضرة، تدفع بالمؤمن إلى استحضارها حقيقة بارزة وهو يمر في ظلمات الفتن، فتهون عليه صعابها وأزماتها، ويثبت في خضم موجاتها العاتية.

وتعود الآيات للحديث عن القرآن العظيم من جديد ففيه العصمة من كل الفتن: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ﴾ فما من موقف ولا فتنة ولا ابتلاء يمر بالإنسان، إلا وجد له في القرآن حلا.

بَيد أن الإنسان قد يُعرض عن هذا الكتاب، فيقع في التخبط والحيرة: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَن يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا ﴾.

وهكذا كان حال الكفار مع النبي صلى الله عليه وسلم الله، فقد أرسل الله لهم رسولاً من أنفسهم عزيزاً عليه، حريصاً على هدايتهم، فأعرضوا عنه ﴿ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ﴾.

لا قلب يسمع ويعي ولا عين تبصر الهدى ولا أُذن تسمع، فلن يهتدوا أبداً. ولكن رحمة خالق العباد سبحانه وتعالى شملت كل شيء حتى الإنسان الذي أعرض عنه، يمهله ويمنحه الفرصة تلو الأخرى: ﴿ وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذَابَ ﴾. لا يعجل بحلمه سبحانه وتعالى، يتأنى على عباده، إلا أن الإمهال ابتلاء وامتحان، وفرصة لاسترجاع النفس والتراجع عن الخطأ والمبادرة بتصويبه.

أما الاستمرار في الغي والظلم والإصرار عليه، فهو مفتاح الهلاك للأفراد كما

للجماعات والأمم: ﴿وَتِلْكَ الْقُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا﴾.
مصائر الشعوب والأمم، تتحدد من خلال إقامتها للعدل أو امتهانها الظلم.

من استقوى بالله أعانه وقوّاه، ومن استغنى بماله وجاهه عن الله، وكله إليهما وأرداه.

ثم تنتقل السورة إلى قصة موسى عليه السلام، مع رجل صالح آتاه الله من لدنه علماً. ﴿ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴾. قصة موسى عليه السلام تبين أن الأمور ومجريات الأحداث ليست بظواهرها ولا تُقرأ بمقدماتها فحسب، وإنما هناك من ورائها حِكم ومقاصد، قد تظهر وقد لا تظهر وفي كلٍّ خير للمؤمن.

فالمواقف التي مرّ بها موسى عليه السلام مع الرجل الصالح، تعلّم الإنسان الصبر على أحداث الحياة وما يمر به من فتن واختبارات. تعلّم المؤمن كيفية تفعيل التفاؤل وحسن الظن بالله في كل ما يمر به من أحداث، مطمئنا إلى أمر الله سبحانه وحكمته.

ومن هنا اتفق الرجل الصالح مع موسى عليه السلام على الصبر لتلمس الحكمة فيما يحدث أمامه من أمور. ﴿ قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا قال إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًاوَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا ﴾. والكلام هنا للإنسان بطبيعته، فهو حين يتعرض لموقف صعب، يتطلع ويتشوف

إلى تبين الحكمة من وراء ما وقع له، وربما قاده ذلك إلى التذمر والسخط على أمور، قد لا يملك حيالها شيئًا.

تأتي الآيات لتعلم الإنسان فنّ الانتظار والصبر واستقبال أحداث الحياة بثبات ويقين راسخ لا يتزعزع، إن للّه حكمة في كل شيء، فينساب الرضا بقضاء اللّه سبحانه وقدره على القلب فيهدأ ويرتاح.

من هنا كانت أول حادثة لمساكين يعملون في البحر، فإذا بهذا الرجل الصالح يخرِق سفينتهم ويُفسِدها عليهم. فإذا موسى عليه السلام بفطرة الإنسان الصالح يعترض على القضية مباشرة: ﴿ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا ﴾.

﴿ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴾ النظر في العواقب، وعدم الحكم على الشيء من بدايته، مقصد هام للإنسان وهو يعاين أحداث الحياة ومواقفها.

وتتوالى الأحداث، فمن قتل الفتى إلى بناء الجدار لأهل القرية الذين امتنعوا عن ضيافة الرجل الصالح وموسى عليه السلام، يعترض النبي الكريم على حدوث أمور أمامه يراها تجاوزت الصواب والعدل، وحملت شراً بينّاً في ظاهرها.

وهنا يأتي التوضيح والبيان من الرجل الصالح لموسى عليه السلام، وهو ينسب العلم والحكم لله سبحانه دون سواه. فالحكم السريع على الأشياء والحوادث من مقدماتها دون الصبر على نتائجها وانتظار نهاياتها، أمر غير محمود العواقب. فقد يحدث أمر ظاهره شر، وباطنه رحمة ..محنة ولكن في طياتها مِنح. هكذا كانت قصة السفينة التي خرقها الرجل الصالح لا ليغرق أهلها- كما ظن موسى عليه السلام- بل ليستنقذها من طاغية كان يصادر السفن الصالحة للاستعمال ويحاصر الناس في أرزاقهم.

فما يحدث من خرق لسفننا في حياتنا، من عدم تلبية لبعض مطالبنا، قد يكون في صالحنا. فلربما طلب الإنسان أمراً وسعى فيه وإليه ولكنه لا يدري ما يحمله من شر مستتر، فإذا رحمة الله تتداركه، فيُمنع عنه ما يحب حماية له. وهنا لابد من إحسان الظن بالله والتوكل عليه والتيقن بحكمته ورحمته: (وَيَدْعُ الإِنسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الإِنسَانُ عَجُولاً) الإسراء:١١.

﴿ وأما الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا (٨٠) فَأَرَدْنَا أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا (٨١) ﴾. فالحرمان من ولد أو مال

أو ما يحبه الإنسان، إنما لادخار الأفضل لذلك المؤمن المبتلى، فلا يتملكه اليأس ويذهب به الضعف البشري بعيدا عن حسن الظن بالله وحكمته.

فلا مكان لحزن يذهب بلب الإيمان والتسليم لأمر الله وقضائه وحكمته. فالتوحيد الذي تبنيه سورة الكهف لا تستقيم معه مشاعر الاعتراض على أمر الله وحكمته، سواء ظهرت الحكمة أم لم تظهر.

أما الجدار الذي أقامه الرجل الصالح، وظن موسى عليه السلام أن هؤلاء لا يستحقون معروفاً، فقد كان لغلامين يتيمين في المدينة، لو سقط الجدار لأخذ أهل القرية أموالهما التي ورثاها من أب صالح، ورّث لهما الصلاح قبل المال. فأعظم ما يورّثه الإنسان لأبنائه ليس ثروة ولا حسابات في البنك ولا بيوت ولا قصور ولا عمارات بإيجارات ممتدة لسنوات، بل هو الصلاح الذي تُكفل به الأرزاق وتتكاثر به البركات وتحل به النعم والخيرات، دون منافاة للأخذ بالأسباب والتوكل على مسببها سبحانه.

كما أن المؤمن يقدم الخير ويصنع المعروف دون تمييز لمن يستحقه أو لا يستحقه. وخلافا لقول الشاعر العربي:

ومن يصنع المعروف في غير أهله ....يكن حمده ذماً عليه ويندم.

واتباعا لقول الله تعالى:(وَلا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ) فصلت:٣٤.

فلا يوجد مكان للانتقام في قلب المؤمن المتيقن بأن الله لا يضيع مثقال ذرة من خير أو معروف. ومع انتهاء قصة موسى عليه السلام والرجل الصالح، لا تنتهي العبر فيها للمتدبر المتأمل في معانيها ومقاصدها وهو ينظر إلى الواقع المحيط به، ويستذكر ما مرّ به من مواقف وعِبر في مدرسة الحياة.

تعلّم فنّ الانتظار واستقبال احداث الحياة بصبر

ثم تنتقل السورة إلى قصة إنسان أوتي من الجاه والقوة والعلم والسلطة الكثير. إلا أنه وظّف تلك النعم في إقامة العدل ورفع الظلم، في نصرة الضعفاء ومناصرتهم ووقف الأقوياء الظلمة وردعهم.

﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَن ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًاإِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا ﴾. فالتمكين في الأرض والقوة والأسباب المادية والمنعة والسلطان والجاه ... أسباب من عند الله عز وجل. وقد أدرك ذو القرنين ذلك، فطاف في الناس والعالم بما حباه الله من تلك النعم عدلاً وإيماناً وتوحيداً وإقراراً للحق والعدل الذي أمر به سبحانه وتعالى.

ناصر الضعفاء وساعدهم، حالفهم وعاونهم وأقام بينهم الحق والعدل، لا طمعاً في مقدراتهم أو ثرواتهم، بل رغبة فيما عند الله الذي مكنّه وأعطاه من الأسباب والقوة. ﴿ قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي فَإِذَا جَاء وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاء وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ﴾.

وقف ضد الأقوياء لظلمهم وتجاوزهم وبغيهم وعدوانهم على الآخرين، وهكذا

صاحب السلطة العادل؛ الضعيف عنده قوي حتى يأخذ الحق له. لم يقم ذو القرنين أحكامه وفق معادلات القوة المادية العمياء بل وفق معادلات الحق والعدالة المبصرة النيرة. فالحق أحق أن يتبع ولو تخلى عنه الأقوياء، والباطل أحق أن يُدمغ ولو ناصره الأقوياء.

والقوة الحقيقية بيد الله وحده: ﴿قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي فَإِذَا جَاء وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاء وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا﴾. تلك القوة التي تأمر بالعدل وتنهى عن الظلم. القوة التي يستحضر بها أصحابها الآخرة، ويدركون أن الدنيا إلى زوال.

فالقائد المؤمن حين يُؤتى شيئاً من سلطان الدنيا، عليه أن يدرك أن السلطة امتحان وابتلاء وفتنة. وهذه الحقيقة استحضرها هذا السلطان الشجاع القوي الذي لم تفتنه السلطة والقوة بإيمانه وتوحيده.

وتختم السورة في مقطعها الأخير بمشاهد يوم القيامة لتؤكد زوال الحياة ونهايتها وحقيقة الآخرة وخلودها: ﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا﴾ لتسدل الستار على الدنيا بكل ما فيها من محن وابتلاءات وما

يعرض للإنسان فيها من مواقف وفتن، وتعزز اليقين بسرعة فنائها وانقضائها.

وتعود على بدء لتوضح أهمية إحكام العلاقة بين الإنسان وهذا الكتاب العظيم. إذ أن مصيره في الآخرة مرهون بهذه العلاقة: ﴿وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَافِرِينَ عَرْضًا الذين كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاء عَن ذِكْرِي وَكَانُوا لا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا﴾. فالإنسان حين يتخذ قرار إغلاق منافذ الإدراك عن الحق وعن نور الكتاب والذكر العظيم، عليه أن يستحضر طبيعة الجزاء الذي ينتظره، مهما تَمَلك في الدنيا من أسباب مادية: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا. ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا﴾.

أما من آمن وسعى في الحق، فعنوانه في الآخرة الفردوس: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا﴾ وماذا خسر من كانت جنات الفردوس له نزلا!! وماذا ربح من خسر جنات الفردوس!!.

ثم تنتهي السورة بتأكيد مكانة التوحيد وأثره في حياة الفرد والمجتمع في النجاة

من كل محنة وفتنة: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فليعمل عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾.

الحق أحق أن يتبع ولو تخلى عنه الأقوياء، والباطل أحق أن يُدمغ ولو ناصره الأقوياء.

بصائر

يهدف المشروع إلى الإسهام في تنمية الإنسان والمجتمع فكرياً وسلوكياً واجتماعياً وحضارياً، وإرساء قيم الاحترام والسلام والتعايش من خلال محاولة تقديم رسالة القرآن الحضارية. إذ أسهمت تلك الرسالة في تحقيق إنسانية الإنسان ومعالجة أزماته الفكرية والاجتماعية والأسرية....عبر العصور، والارتقاء بدوره واستقراره النفسي والسلوكي.

ويقدم المشروع في سبيل تحقيق ذلك سلسلة من الإصدارات في مجال تدبر سور القرآن الكريم بلغاتٍ عدة لتسهم في إعادة تأهيل التفكير الإنساني وكيفية تعامله مع الواقع الذي يعيشٍ فيه وتبنّي القيم الإيجابية القادرة على تحسين أدائه وتهذيب سلوكياته.

الدكتورة رقية العلواني

قامت بنشر العديد من المؤلفات باللغتين العربية والانكليزية في مجالات علمية متنوعة من أبرزها تدبر القرآن الكريم ودراسات المرأة والأسرة والتنمية القيمية، إضافة إلى تخصصها في الدراسات الإسلامية ومقارنة الأديان. فازت بالعديد من الجوائز العالمية منها؛ جائزة الأمير نايف بن عبدالعزيز آل سعود العالمية في السنة النبوية. قامت بتقديم العديد من الدورات التدريبية في مجالات تعليم وتنمية مهارات التدبر والقيم الإيجابية. تعمل حاليا أستاذاً مشاركاً في جامعة البحرين.

رقم الناشر الدولي
4-5-731-99901-978
رقم الإيداع بإدارة المكتبات العامة
10836/2012 د ع